

[عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله]

فهذه قصيدة سلفية أثرية، يُبين فيها الحبر الهمام، وحُجّة الإسلام في الأنام، شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي رحمه الله عقيدته، ومنهج الذي سلكه وسار عليه، وهي قصيدة كافية شافية لمن أراد أن يعرف عقيدة شيخ الإسلام رحمه الله باختصار مفيد غير مخل، وهي موجز عقيدته المفصلة التي جاءت في كتبه زاخرة بما يشفي العليل، ويروي الغليل. نصّ اللامية: وهي منظومة من بحر الرجز:

- |  |  |
|--|--|
| 1- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي      | رُزِقَ الْهُدَى مِنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ    |
| 2- اسْمِعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ        | لَا يَنْتَبِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ         |
| 3- حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ     | وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ       |
| 4- وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ         | لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ       |
| 5- وَأَقْرُبُ بِالْقُرْآنِ (1) مَا جَاءَتْ بِهِ  | آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ (2) الْمُنْزَلُ     |
| 6- وَأَقُولُ: قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ      | وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ (3) |
| 7- وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا         | حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ      |
| 8- وَأَرْدُ عُقْبَتَهَا (4) إِلَى نِقَالِهَا     | وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ        |
| 9- فُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَرَاءَهُ    | وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ الْأَخْطَلُ  |
| 10- وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ   | وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ    |
| 11- وَأَقْرُبُ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي | أَرْجُو بِأَيِّ مِنْهُ رَبًّا أَنْهَلُ         |
| 12- وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ  | فَمُوحَّدٌ نَاجٍ وَآخِرُ مُهْمَلُ              |
| 13- وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ  | وَكَذَا النَّهْيُ إِلَى الْجَنَانِ سَيَدْخُلُ  |
| 14- وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ         | عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ          |
| 15- هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ     | وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ      |
| 16- فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوحَّدٌ (5) | وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعْوَلُ     |

حول نسبة القصيدة (اللامية) لشيخ الإسلام ابن تيمية:

اختلف أهل العلم في نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فأكد ذلك بعضهم، ونفاه آخرون، وتوقف في ذلك فريق ثالث، غير أن هؤلاء جميعاً - مع اختلافهم في نسبتها إليه - يكادون يتفقون على أن ما جاء فيها، وما تضمنته أبياتها من مسائل: فهو معتقده، الذي بينه في مواضع عديدة من كتبه، وأطال ثمة الشرح والتفصيل والتدليل، إلا أن هذا لا يمنع من البحث العلمي حول صحة هذه النسبة:

(1) في نسخة: (وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ). (4) في نسخة: (عُهِدَتْهَا).

(2) في نسخة: (الكَرِيمِ) وفي أخرى: (العَظِيمِ). (5) في نسخة: (فَمُوقِّقٌ).

(3) هذا البيت غير مذكور في بعض النسخ، ولعله سقط منها.

أولاً: قد نَسب هذه القصيدة لشيخ الإسلام عددٌ من العلماء المحققين، منهم:

- 1- نعمان الألويسي، في كتابه: "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" إذ قال: "اعلم أولاً أنّ عقيدة الشيخ ابن تيمية الموافقة للكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، مُستفيضة مُفصلة في تصنيفاته... فمنه قوله: (يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي...) وساقها إلى آخرها".
  - 2- سليمان بن سحمان في تعليقاته على كتاب: "لوامع الأنوار البهية" للستفاريي إذ قال: "وأما ما ذكره في القول السديد في الأبيات التي نسبها لشيخ الإسلام قدس الله روحه إن صحَّ النقل بذلك، حيث قال: (وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ)".
  - 3- عبد العزيز بن ناصر الرشيد في شرحه على "العقيدة الواسطية" المسمى: "التببيات السنية"، إذ قال: "قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في لاميته المشهورة: (قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَرَأَاهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ)".
  - 4- صالح بن إبراهيم البليهي في كتابه "عقيدة المسلمين" إذ عزا القصيدة إلى شيخ الإسلام.
  - 5- أحمد بن عبد الله المرادوي، في كتابه: "اللالئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية" إذ نسب القصيدة له. والشرح مطبوع بتعليقات صالح الفوزان، الذي لم يُعلّق على النسبة بشيء، فلعل ذلك منه إقرارٌ على صحتها.
- ومن الأدلة التي استدل بها على نسبة القصيدة لابن تيمية:

- 1- تلقى العلماء لها بالقبول، واشتهار نسبتها له.
- 2- أنّ النسخ المخطوطة جميعها تُعنوان بنسبة المنظومة له، وتحتّم بذلك.
- 3- وجود القصيدة في مخطوط بين كتب ورسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، وإن كان هذا المخطوط لم يُكتب عليه أنه من كلام شيخ الإسلام، ولكن مكانه يشير إلى مؤلفه.

ثانياً: ورأى بعض العلماء أنّ نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام لا تصحّ، ومن هؤلاء:

- 1- محمد بن صالح العثيمين، إذ قال في شرح له على "الستفاريية" في التعقيب على سؤال ورده حول البيت الخامس، وهو قول الناظم (وَأَقُولُ بِالْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُنَزَّلُ) قال: "هذه - أولاً - تحتاج إلى إثبات أنّها للشيخ الإمام ابن تيمية، وعلى تقدير ثبوتها: فإنّ هذا لعله في أوّل طلبه؛ لأنّ القول بأنّه قديم: هو المشهور عند أكثر الناس، لكنّ الظاهر أنّها لا تصحّ أصلاً عن الشيخ".
  - 2- بكر أبو زيد؛ حيث ذكرها تحت باب: "الكتب المنحولة على شيخ الإسلام" بدون أيّ تعليق أو بيان، وذلك في كتابه: "المدخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية، وما لحقها من أعمال".
- ومن الأدلة التي استدل بها على عدم نسبتها إليه:

- 1- أنّ لا أحد من تلاميذ ابن تيمية ومُعاصريه نسب هذه القصيدة له، وفيه إشارة واضحة بأنّها ليست له. وتُعقّب على هذا وأجيب عنه: بأنّ اعتبار هذا دليلاً قاطعاً على نفي النسبة: ليس دقيقاً، من حيث أنّ كثرة تصانيف شيخ الإسلام جعلت من الصعب إحصاء كلّ أعماله العلمية؛ خصوصاً مثل هذه القصيدة القصيرة، التي يُظنّ أنّ مثلها على قصرها قد يُغفله العادّ على كثرة المؤلفات. ولذلك جاء في كلام الحافظ ابن رجب في سياق الكلام عن مصنّقات شيخ الإسلام، كما في "الدليل على طبقات الحنابلة": "وأما تصانيفه رحمه الله فهي أشهر من أن تُذكر، وأعرف من أن تُنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتألت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حدّ الكثرة، فلا يمكن أحداً حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدّ المعروف منها، ولا ذكرها... وأما القواعد المتوسطة والصغار وأجوبة الفتاوى: فلا يمكن الإحاطة بها؛ لكثرتها، وانتشارها، وتفريقها".
- 2- جاء في "مجموع الفتاوى" (297/6) لشيخ الإسلام نفسه كلامٌ يُشعرُ بأنّها ليست من كلامه، إذ إنّّه قال - في سياق مناقشته لمسألة كلام الله ما نصّه -: "وقد أنشد فيهم المنشيد: (قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَرَأَاهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ)". وهذا من أقوى الأدلة التي ساقها من قال بنفي نسبة القصيدة لشيخ الإسلام.

3- ورود لفظ (القديم) في البيت الخامس من القصيدة، وهو قوله: (وَأَقْرُبُ بِالْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُنَزَّلُ). ومن المعلوم أنّ لفظ (القديم) من ألفاظ المتكلمين، التي كان شيخ الإسلام ابن تيمية لا يرى استعمالها، فورودها هنا: دليل على أنّ قائلها غيره. ولكن يمكن أن يجاب على هذا بأحد أمرين: الأول: أنّه ورد في بعض النسخ بلفظ آخر، وهو قوله: (وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ) وفي بعضها: (العظيم المنزّل) باستبدال كلمة: (الكريم) أو (العظيم) بـ: (القديم). والثاني: ما أشار إليه ابن عثيمين من احتمال أن يكون ابن تيمية قد صنف هذه القصيدة في بداية طريقه في الطلب.

**ثالثاً:** ومن العلماء من توقّف في نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام، ومن هؤلاء: عبد الكريم الخضير، في شرح له مفرغ. وقال عليّ العمران: "لامية شيخ الإسلام نشرها الأخ خالد اللحيدان، معتمداً على عدة نسخ خطية متأخرة، وذكر بعض أدلة ثبوتها، وإن كنت لا أوافق على الجزم بنسبتها إليه، بل فيه نظر كبير. ثمّ وقفت على نسخة خطية منها على طرّة مجموع فيه فتاوى لابن تيمية بخط أحد أبناء عمومة ابن تيمية، بتاريخ (762) في غاية الجودة والنفاسة، لكنّه لم يجزم بنسبتها لشيخ الإسلام، فيبقى أنّ تجمع هذه الدلائل والقرائن إذا أردنا الجزم بإثباتها أو نفيها".

**فائدة:** لا شك أنّ تفاوت مواقف أهل العلم في صحة نسبة القصيدة (اللامية) لشيخ الإسلام: يُشير إلى أنّ المستند في إثبات هذه النسبة أو نفيها ليس قطعياً، فالذين أثبتوا: إنما أثبتوا بغلبة ظنّ حصلت لديهم في صحة النسبة، والذين نفوا: إنما نفوا كذلك بمثلاً. وعليه: يتضح أنّ هذه الأدلة لا تُعطي في النهاية اطمئناناً لتصحيح قول أو ترجيحه على وجه التأكيد، لذا تبقى المسألة في إطار الاحتمالات، إلاّ أنّه يجدر التنبيه مرّة أخرى إلى أنّ هذا الخلاف في نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام لا ينقص من القيمة العلمية لها، لذا تلقاها بعض أهل العلم بالقبول.

#### ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ثمّ الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفيسر، الأصولي الزاهد، تقيّ الدين أبو العباس، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام.

ولد يوم الإثنين، عاشر (10) ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة (661) بحران. وقدم به والده إلى دمشق عند استيلاء التتر على البلاد سنة سبع وستين وستمائة (667). عُني بالحديث والفقه والأصول وقرأ العربية وأخذ كتاب سيوييه وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض، والحساب والجبر، ونظر في الفلسفة وردّ على رؤسائهم وأكابرهم، وتأهل للفتوى والتدريس وشرع في التصنيف وهو دون العشرين. وكان إذا سئل عن فنّ من العلم ظنّ السامع أنّه لا يعرف غيره ولا يُحسّن سواه.

كان موصوفاً بقرط الشجاعة والكرم، مع ما جمعه الله له من الزهد والورع والديانة ونصرة الحقّ، فارغاً عن شهوات المأكل والملبس، لا لذّة له في غير نشر العلم وتدوينه، والعمل بمقتضاه. وقد عُرض عليه القضاء، ومشىخة الشيوخ، فلم يقبل شيئاً من ذلك.

وقد فتن كثيراً، فقد قاموا عليه في رمضان سنة (719) بسبب قوله: (أنّ الطلاق الثلاث من دون تحلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة) ثمّ عُقد له مجلس آخر في رجب سنة (720) ثمّ حُبس بالقلعة، ثمّ أُخرج في عاشوراء سنة (721) ثمّ قاموا عليه مرّة أخرى في شعبان سنة (722) بسبب مسألة الزيادة، واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الإثنين لعشرين (20) من شهر القعدة سنة (738) بجامع دمشق وصار يضرب المثل بكثرة من حضر جنازته، وأقلّ ما قيل في عددهم: أنهم خمسون ألفاً.

## 1- يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رزق الهدى من للهداية يسأل

° قال ابن القيم في "مدارج السالكين": "لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علم الله عباده كيفية سؤاله".

° قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": "فحاجة العبد إلى سؤال هذه الهداية ضرورية لسعادته وفلاحه، بخلاف حاجته إلى الرزق والنصر، فإن الله يرزقه، فإذا انقطع رزقه مات، والموت لا بد منه... وكذلك النصر، فإن قدر أنه غلب حتى قُتل: فإنه يموت شهيدا... فتبين أنّ الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر وإلى الرزق، بل لا نسبة بينهما، لأنه إذا هُدي كان من المتقين (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وكان ممن ينصر الله ورسوله، ومن نصر الله: نصره الله، وكان من جند الله وهم الغالبون. ولهذا كان هذا الدعاء: هو المفروض. ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه: دعاء الفاتحة: (اهدنا الصراط المستقيم)".

## 2- اسمع كلام محقق في قوله لا ينثني عنه ولا يتبدل

هذا وعد منه بأنه سيبيّن معتقده بالأدلة من الكتاب والسنة، وهذا هو المحقق، لأنه كلام حق لا مربة فيه، لا ينثني عنه ولا يرجع، ولا يتأول شيئا منها تأويلا مذموما؛ لأنه يقول الحق بنصوص شرعية صحيحة صريحة، يبيّنها بمعانيها الصحيحة. وهذا الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم.

## 3- حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودة القرى بها أتوسل

في هذا البيت ذكر أمرين:

أ- الأول: بدأ ببيان عقيدته في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتقد أهل السنة والجماعة، الطائفة الناجية المنصورة، ومذهبه: حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم العشرة المبشرون بالجنة، وفي مقدمتهم: الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وبقية: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح، ويأتي بعدهم: أهل بدر، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح، ثم من أسلم بعد الفتح؛ روى الشيخان عن أنس مرفوعا: «آية الإيمان: حب الأنصار، وآية النفاق: بغض الأنصار». وفي الصحيحين عن البراء مرفوعا: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحب الله، ومن أبغضهم أبغض الله». وإن كان هذا ورد في الأنصار خاصة؛ فإنه يشمل المهاجرين أيضا، بل هم به أولى؛ لأنهم - في جملتهم - أفضل من الأنصار، فلهم الحق الأعظم، فيكون حكم هذا الحديث وأمثاله: شاملا للصحابة كلهم رضي الله عنهم أجمعين. وروى أحمد عن ابن مسعود قال: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ". وروى أبو نعيم في "حلية الأولياء" عن عبد الله بن عمر قال: «من كان مستننا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدى المستقيم". ورواه أيضا البغوي في "شرح السنة" عن عبد الله بن مسعود موقوفا. وهذا المعتد وسط بين الإفراط والتفريط، وبين العلاة والجفأة، وهم فريقان:

1- الشيعة الروافض: الذين علوا في بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب وأهل بيته رضي الله عنهم، حتى ألهه بعضهم، في حين أبغضوا أكثر الأصحاب وعلى رأسهم: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، بل كفروهم وأهموهم بالنفاق. ورموا أمنا عائشة رضي الله عنها بالفاحشة.

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحِصَى      مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ  
لا تَرَكْنَ إِلَى الرَّوَافِضِ إِهْمٌ      شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بَرَهَانَ  
مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ      وَرَمَوْهُم بِالظُّلْمِ وَالْعَدْوَانِ

2- الخوارج التواصب: الذين كفروا ببعض الصحابة، كعلي ومعاوية وأصحابهما من أصحاب التحكيم رضي الله عنهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

ب- الأمر الثاني: بين مودته لمؤمني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا حب زوجاته الطاهرات رضي الله عنهن؛ فأهمن من آل البيت، قال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب.

ولما كان حب الصحابة رضي الله عنهم ومودة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من العبادات والقرابات: توسل بهما شيخ الإسلام إلى الله تعالى، إذ التوسل المشروع ثلاثة أقسام، وهذا واحد منها:

الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته؛ روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ». وروى النسائي عن عمار: أَنَّهُ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْعَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْسَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ حَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ حَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حَشِيَّتَكَ فِي الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْعَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقُصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ».

الثاني: التوسل إلى الله بالعمل الصالح، كقول الله تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران]. وقوله تعالى - حكاية عن الحواريين -: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران]. وكذا ما تضمنته قصة أصحاب الغار، وتوسل كل واحد من الثلاثة بعمله الصالح: ير الوالدين، والتعفف عن الفاحشة، وإعطاء الأجير حقه [متفق عليه عن ابن عمر]. ومنه: قول ابن تيمية هذا. والعمل الصالح الذي يتوسل به لا بد له من شرطين: أ- أن يكون خالصًا لوجه الله. ب- وأن يكون موافقًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء المسلم الصالح الحي القادر على الدعاء، كما جاء في استسقاء الرجل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم الجمعة، حيث قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمُوَاشِي، وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِيْثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» فسقوا [متفق عليه عن أنس]. وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم في عهده صلى الله عليه وسلم يتوسلون بدعائه. أما بعد موته: فلم يكونوا يتوسلون به صلى الله عليه وسلم ولا يسألون بذاته، وإنما كانوا يختارون من يتوسمون فيه الصلاح والتقوى أو الفضل والعلم؛ فيطلبون منه الدعاء في الاستسقاء وغيره، وإن كان من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل، اقتداءً بعمر رضي الله عنه؛ روى البخاري عن أنس بن مالك: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا فَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» قَالَ: فَيَسْقُونَ".

ومعنى قول عمر رضي الله عنه: إننا كنا نقصد نبينا صلى الله عليه وسلم ونطلب منه أن يدعوا الله لنا، وتتقرب إلى الله بدعائه، وأما الآن وقد انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعوا لنا، لذا فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعوا

لنا. وليس معناه: أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم يقولون: اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا الدعاء مُبتدع، ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح.

#### 4- وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

لكل واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منزلة رفيعة، وقدّر عظيم عند الله، وعند الصالحين من عباد الله؛ لكن الصديق أعظمهم فضلاً، وخيرهم بعد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبعد الرسل والأنبياء السابقين. وبلي الصديق في الفضل والمكانة: عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب أبو السبطين: الحسن والحسين.

فأبو بكر الصديق: هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من أسلم، ومن أجود الصحابة وأعلمهم وأذكاهم وأثبتهم وأزرحهم، وهو من جمع القرآن الجمع الأول قبل عثمان رضي الله عنهم.

\* روى الدينوري في "المجالسة" عن الشعبي أنه قال: "حصى الله تبارك وتعالى أبا بكر الصديق رضي الله عنه بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس: سماه الصديق ولم يسّم أحدا الصديق غيره، وهو صاحب العار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفيقه في الهجرة، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود".

#### 5- وَأَقْرَبُ بِالْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُنَزَّلُ

هذا بيان لمعتقده في القرآن الكريم، فأخبر أنه يقف في اعتقاده تجاه القرآن: بما جاء في القرآن نفسه؛ وأنه كتاب الله المنزل، وآيات القرآن شاهدة بأن القرآن منزل من عند الله، ومن تلك الآيات الدالة على هذا: قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف]. وقوله: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ° نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ° عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ° بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء]. والقرآن الكريم: كلام الله تعالى: سوره وآياته وكلماته، تكلم به بحروفه ومعانيه، ولم يُنزل على أحد قبل نبينا صلى الله عليه وسلم أسمعه الله تعالى جبريل عليه السلام وأسمعه نبينا صلى الله عليه وسلم وأسمعه نبينا صلى الله عليه وسلم وأسمعه نبينا صلى الله عليه وسلم وأسمعه نبينا صلى الله عليه وسلم. وهو الذي في المصاحف، يتلوه التالون بالسنتهم، ويقرؤونه بأصواتهم، ويسمعه السامعون بأذانهم، وينسخه النسخ، ويطبعه الطابعون بالآتهم، وهو الذي في صدور الحفاظ، بحروفه ومعانيه، تكلم الله به على الحقيقة، وهو غير مخلوق، فهو كلامه على الحقيقة لا كلام غيره، منه بدأ وإليه يعود، أي: هو من تكلم به بحروفه ومعانيه، ويسرى عليه في ليلة، فيرفع من المصاحف والسطور، ومن الحفاظ والصدور، فلا تبقى في الأرض منه آية. ويجب مراعاة الأمور الآتية في إيماننا بالقرآن المنزل من عند الله تعالى، وهو أن نعتقد:

أولاً: أنه كلام الله - لفظه ومعناه - لم يُعبر به أحد عن الله، ولم يتكلم به أحد نيابة عن الله، بل هو كلام الله الذي تكلم به حقيقة، وليس منه شيء من كلام البشر، قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) [التوبة].

ثانياً: أن جبريل عليه السلام سمعه من الله مباشرة، وأنه كلام الله المسموع؛ خلافاً لمن يزعم أنه عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله.

ثالثاً: أنه تكلم به كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تشبيهه بكلام المخلوقين؛ لأنه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) [الشورى].

رابعاً: أنه كلام الله المنزل غير مخلوق، وقّده العلماء بذلك؛ لأن الجهميّة والمعتزلة والرافضة وغيرهم من الفرق الضالة، كلهم يدعون أن القرآن مخلوق.

قال بعض أهل العلم: وسواء صحّت نسبة هذه الآيات إلى الإمام ابن تيمية رحمه الله أم لم تصح: فهي آيات رائعة... ولو استبدلنا عبارة (الكريم المنزل) أو (العظيم المنزل) بـ (القديم المنزل) على إحدى الروايتين: لكان أفضل؛ لأن لفظه (القديم) أكثر من يستعملها: هم أهل الكلام، فالأولى تركها، والتقيّد بالألفاظ الشرعيّة.

## 6- وَأَقُولُ: قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأْوَلُ

ويعتقد بما قاله الله تعالى، سواء في كتابه العزيز، أو في الأحاديث القدسية الصحيحة، وكذا بما قاله نبيه المختار المجتبي في سنته الطاهرة الثابتة؛ لأنَّ الله تعالى اصطفاه من بين الخلق؛ كما قال تعالى (آل عمران): (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) غير أنَّ بعض أهل العلم لا يرى بأنَّ (المصطفى) من أسمائه صلى الله عليه وسلم، منهم: الشيخ العنيمين. وأسماءه صلى الله عليه وسلم وردت فيما رواه الشيخان عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ [وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ]». وليس (المصطفى) منها. ويعتقد أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَادٍ، والهداية مراتب أربعة: إحداهما: الهداية العامة، وهي هداية كُلِّ نفسٍ إلى مَصَالِحِ معاشها وما يُقِيمها، وهذا أعمُّ مراتبها؛ قال تعالى (الأعلى): (الذي قدر فهدى). المرتبة الثانية: الهداية بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مَصَالِحِ العبد في معاده، وهذا خاصٌّ بالْمُكَلَّفِينَ، وهذه الهداية هي التي أثبتها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال (الشورى): (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق، ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى. وهذه الهداية لا يقدر عليها إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى (الأعراف): (مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) وهي التي نفاها تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى (القصص): (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار؛ قال تعالى (الصافات): (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ). وقال تعالى (محمد): (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ \* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ). والتأويل: له معانٍ ثلاثة: الأول: [التفسير]: وهو إيضاح المعنى وبيانه، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن الكريم، كابن جرير الطبري وأمثاله من المفسرين. ومن ذلك: ما رواه أحمد عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي - أَوْ عَلَى مَنْكَبِي - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ». وهذا معلومٌ عند العلماء في آيات الصفات وغيرها. الثاني: [الحقيقة التي يؤول الشيء إليها]: وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة، قال تعالى (الأعراف): (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ). فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد: هو ما أخبر الله تعالى به فيه مما يكون من القيامة والحساب، والجنة والنار، ونحو ذلك، كما قال في قصة يوسف عليه السلام لما سجد أبواه وإخوته: (وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا). فجعل عين ما وُجد في الخارج هو تأويل الرؤيا. فتأويل آيات الصفات بهذا المعنى، هو الكنه والحقيقة التي هي عليها، وهذا لا يعلمه إلاَّ الله. الثالث: [صرف اللفظ عن ظاهره أو عن الاحتمال الرجح إلى المعنى المخالف للظاهر أو إلى الاحتمال المرجوح]: وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين في تأويل نصوص الصفات وغيرهم، وهذا التأويل نوعان: صحيح وفساد: فالصحيح: ما دلَّ الدليل عليه، وصحَّ نقله ببرهان، وكان نأقله واجب الطاعة: فهذا حقٌّ؛ مثل تأويل قوله تعالى (التحل): (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) إلى أنَّ المعنى: إذا أردت أن تقرأ القرآن. ومثال التأويل الصحيح: قول الله عزَّ وجلَّ (التوبة): (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) فقد ثبت عن ابن عباس: أنَّ النسيان - هنا - هو التَّرك. وقد دلَّ على هذا التأويل تصريحًا: قوله تعالى (مريم): (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) وقوله تعالى (طه): (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى). والفساد: ما لا دليل عليه، وكان نقله بخلاف التأويل الصحيح، فهذا يُطرح، ولا يُلتفت إليه، ويحكم عليه بالبطلان؛ كتأويل استواء الله على عرشه باستيلائه، ومثل تأويل يد الله ب: النعمة، أو القدرة أو القوة.

## 7- وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ

هذا بيانٌ لمنهج أهل السنة والجماعة، ومذهب السلف - في باب الاعتقاد - وهو التوقيف، ومعناه: أنه ليس للعقل فيها مجال، وليست محلاً لاجتهاد العلماء، فأصبح التلقي فيها من آيات كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ووجب إمرار آيات الصفات كما

جاءت لما جاءت له، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف، ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل. وليس المراد بالإمرار: تفويض المعاني؛ وإنما التفويض يكون للكيف. ومثل ذلك: النصوص النبوية الصحيحة التي جاءت في باب الأسماء والصفات. و(الطراز الأول): هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأهل القرون المفضلة. وعبارة: (أمرؤها كما جاءت بلا كيف): قالها مالك والأوزاعي ومكحول والليث وغير واحد من السلف، والميزان في ذلك: قول الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى].

## 8- وَأَرَادُ عُقْبَتَهَا إِلَى نِقَائِهَا وَأَصُونَهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

وترد جميع نصوص الصفات إلى من نقلوها من كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ بكل صدق وأمانة، والرد يكون إلى ألفاظ النصوص وما تحمله من المعاني الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته، لا نتجاوز ما عليه النقلة من الإيمان بها؛ لأنّ الدّين إنّما أخذ من الثقات عن الثقات، فروايتهم مقبولة، وعلومهم منقولة، وهم أهل الصواب؛ لذا لا تتجاوز مواقفهم بإفراط ولا تفريط، وبهذا كان أهل السنة - في باب الصفات - وسطاً بين المشبهة والمعطلة.

ويجب صيانة هذه النصوص من التأويل الباطل والتحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، كما يجب أيضاً صيانتها عما يتخيّل أهل الباطل من أهل البدع والضلال، ممن ضلّوا في هذا الباب.

## 9- فُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

هذا دعاء على من يترك الاستدلال بما قال الله تعالى في كتابه، وما قال رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة، سواء في هذا الباب: باب الأسماء والصفات، أو في غيره، ويعتمد إلى أقوال الرجال، أمثال الذين حرّفوا الصفات من الأشاعرة وغيرهم، ممن أولوا تأويلاً باطلاً، وفسّروا الاستواء بالاستيلاء، فقالوا في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه] أي: استولى. واستدلوا على هذا التفسير الخاطئ بقول الأخطل:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ عَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مَهْرَاقِ

بشر: هو ابن مروان، واستوى: بمعنى: استولى. وتحقيقاً: لم يثبت نقل صحيح أنّه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة ينكرونه، ويقولون: إنّ بيت مصنوع، لا يُعرف في اللغة، وقد عُلم أنّه لو احتج شخصٌ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاحتاج إلى صحته، فكيف بيت من الشعر لا يُعرف إسناده؟! .  
وبقوله - أيضاً - :

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وإن كان المشهور في البيت: (إنّ البيان)، وليس: (إنّ الكلام)... فلذلك بطل استدلالهم ببيت الأخطل هذا على أنّ القرآن ليس كلام الله حقيقة بل هو عبارة عن كلام الله، أو هو الكلام التفسيري.  
وتركوا تفسير السلف الصالح وأتباعهم، الذين هم أولى بفهم نصوص الكتاب والسنة، وأولى بفهم أبواب العلم لا سيما هذا الباب العظيم الذي هو أصل الدين وقاعدته.

والأخطل: شاعر نصراني في الصدر الأول في عهد الدولة الأموية، معروفٌ بفجوره وسُكره، وليس من العرب، ولا ممن يُعتدّ بعرييتهم. فهل يُعتدّ أو يُحتجّ بشعر من كان هذا مُعتقده؟! زد على هذا: أنّ هذا البيت لا يثبت في ديوان الأخطل المعروف، وهو ممن لا يُحتجّ بشعرهم في باب اللغة والنحو، فضلاً عن أن يُستدلّ به في باب العلم الشرعي.

فيقرّر شيخ الإسلام أنّه - في اعتقاده - على ما جاء في القرآن:

أ- من أنّ الله يتكلّم متى شاء، إذا شاء، كيف شاء، وأنّ القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقةً: لفظه، ومعناه، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المتلوّ باللسن، كلّ كلام الله غير مخلوق.

ب- وأنّ الله تعالى مُستوٍ على عرشه كما يليق به. وهذا كلّه خلافاً لما قرّره الأخطل التصرياني، الذي يستدلّ بشعره بعض المبتدعة، ويتكون نصوص الوحيين جانباً.

## 10- وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقّاً رَبَّهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

قرّر شيخ الإسلام - في هذا البيت - مسألتين:

المسألة الأولى: [رؤية الله تعالى]: فهو يعتقد أنّ المؤمنين يرون ربهم ولكن يوم القيامة، وهو ما دلّت عليه نصوص القرآن والسنة الصحيحة؛ الله تعالى لا يرى في دار الدنيا، وقد سأل نبيّ الله موسى عليه السلام ذلك من ربه، فأخبره تعالى أنّه لن يراه في الدنيا، ولا يستطيع ذلك، قال تعالى (الأعراف): (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ). وقال صلى الله عليه وسلم: "تعلّموا أنّه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت" رواه مسلم. وقد اختلف العلماء في رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه حين عُرج به إلى السماء، والصحيح: أنّه لم ير ربه؛ لما روى مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: "نورٌ أتى أراه؟". وبما روى مسلم والترمذي عن مسروق قال: "كُنْتُ مُتَّكِّمًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِّمًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَقَدْ رَأَى بِالْأَفُقِ الْمَبِينِ) [التكوير] (وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى) [التجم]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيٌّ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرْتِنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام] أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الشورى]... الحديث.

هذا في الدنيا، أمّا في الآخرة: فالأمر مختلف، فالعباد يُخلقون خلقاً جديداً، ألا ترى أنّ الشمس تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة حتى لا يكون بينها وبينهم إلا ميل واحد، ومع ذلك: فلا يدوبون ولا ينصهرون! ألا ترى أنّ الناس بعد البعث غير قابلين للموت. نعم في يوم القيامة يُطبق المؤمنون رؤية ربهم، بل هو من أعظم التعميم الذي يُعطاه المؤمنون في الجنة؛ قال تعالى (القيامة): (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) وقال (المطففين): (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ). وقال (يونس): (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ). والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، كما في قوله تعالى (ق): (لهم ما يشاؤون فيها ولدنيا مزيد). وهذا التعميم العظيم يُجرمه الكفار، قال تعالى (المطففين): (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ). وقد جاءت الأحاديث المتواترة مُصرّحة بذلك غاية التصريح: روى الشيخان عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا». وفي رواية قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ». وهذا هو مُعتقد أهل السنة قاطبة، وخالف في هذا المُعتقد: الجهميّة والمعتزلة والرافضة والخوارج. وحرّيٌّ بمن أنكر رؤية الله تعالى يوم القيامة في الجنة أنّ يُحرم منها.

المسألة الثانية: [نزول الله تعالى]: قد نصّت السنة الصحيحة على أنّ الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما يليق به، حين يبقى الثلث الأخير من الليل؛ روى الشيخان عن أبي هريرة - مرفوعاً -: «يُنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». فأهل السنة يُؤمنون بأنّه ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته، ولكن لا يسألون عن كيفية نزوله، فالكيف مجهول لدينا. قال مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعاباً؛ لأنّ فيه نبذ التكييف، وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتمّ أهل العلم بقوله واستجادوه واستحسنوه". وما قيل في الاستواء يُقال في النزول وفي غيره.

## 11- وَأَقْرُبُ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي أَرْجُو بَأْيٍ مِنْهُ رَبًّا أَنْهَلُ

بعد تقريره للكلام على الأسماء والصفات، بدأ بتقرير مسائل متعلقة باليوم الآخر، ومسائله عديدة، لم يذكر الأولى منها: كالشفاعة، والحساب والجزاء، ومنه: ثواب وعقاب، والقصاص بين الخلق، ولكنه أشار إلى غيرها: كالميزان، والحوض، والصراط، والجنة والنار. **أولاً:** [الميزان]: قال تعالى (الأنبياء): (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ). وقال (القارعة): (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ° فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ° وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ° فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ° وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ° نَارٌ حَامِيَةٌ). وروى الحاكم عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ". ويكون الميزان بعد الحساب؛ لأن الميزان للجزاء، فالحاسبة: لتقرير الأعمال، والوزن: لإظهار مقاديرها. وقد أجمع أهل السنة على أن الميزان حق، وأنكرته الجهمية والمعتزلة وبعض الفرق الأخرى، ولم يُقرُّوا به، وزعموا أنه عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة.

### ما الذي يُوزَنُ في هذا الميزان؟

أ- قيل: الأعمال نفسها، وأنها تُحَسَّم وتُوضَع فيه؛ روى البخاري عن أبي هريرة قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ". وأخرج أبو داود والترمذي - واللفظ له - عن أبي الدرداء قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ».

ب- وقيل: الذي يُوزَنُ هو العامل نفسه، فيثقل أو يخف بمقدار إيمانه، لا بضخامة جسمه؛ روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا (فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) [الكهف]". وأخرج أحمد عن عبد الله بن مسعود: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِمَّ تَضْحَكُونَ؟" قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ".

ج- وقيل: الموزون هي صحائف الأعمال؛ روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْخَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَمْ تُحَافِظْ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجْلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ". قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجْلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجْلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

وبما أن التصوص الصّحيحة والصّريحة دلّت على وزن الأعمال - سواء من الأقوال أو الأفعال - ودلّت أيضًا على وزن الصّحائف التي تحتوي الأعمال، كما دلّت التصوص على وزن العاملين أنفسهم، ولم ينف بعضها بعضًا، فيكون مقتضى الجمع: إثباتها جميعًا دون ترجيح بعضها على بعض، والله تعالى أعلى وأعلم.

**ثانيًا:** [الحوض]: في الموقف - يوم القيامة - أحواض، ويكون لكل نبي حوضه الخاص به؛ روى الترمذي عن سمرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَبْنَهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً».

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضٌ عظيم، وموردٌ كريم، جاء وصفه في السنة بأوصاف كثيرة؛ روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ [أي: الفضة] وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا». وروى مسلم عن أنسٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى فِيهِ أَبَارِيقَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وماء الحوضِ مصدره ومورده: نهر الكوثر الذي في الجنة، فهو مادته التي تُصبُّ في الحوض عن طريق ميزابين ومجرنين للماء؛ روى مسلم عن ثوبانٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ؟ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَعْثُ [أي: يصب ويسيل] فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا: مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ: مِنْ وَرِقٍ».

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو من يتولَّى سقِّي أقوامٍ من أمته من حوضه، يعرفهم بأثار العبادة والطاعة، ويُبعد غيرهم؛ روى مسلم عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنِ [وهما بلدان ساحليان في بحر القلزم] هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَا يَنْتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لِأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيْمَا [أي: علامة] لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ، تَرُدُّونَ عَلَيَّ عُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ».

ويُجرم المبتدعة وأهل الأهواء من الشرب من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم عُقوبةً لهم؛ روى الشيخان عن سهل بن سعدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ [أي: سابقكم إليه لأستقيكم منه] مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لِيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ، أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا [أي: بُعدًا بعدًا] لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

وقد أجمع على إثبات الحوض: السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرته طائفةٌ من أهل البدع منهم المعتزلة، وأحالوه عن ظاهره، وعلّوا في تأويله؛ لأنهم يُخضعون التصوِّص لعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، ولا يُعملون التصوِّص الشرعيَّة، فخرقوا بتحريفهم هذا إجماع السلف، وفارقوا مذهب أئمة الخلف. وحرِّي بمن أنكر الحوض أن يُحال بينه وبين وروده والشرب منه يوم العطش الأكبر.

## 12- وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ فَمَوْحَدَنَاجٍ وَآخِرُ مُهْمَلٍ

يُقرَّر - في هذا البيت - وجوب الإيمان بالصراط، وهو جسر يُصب على متن جهنم، فهو قنطرة بين الجنة والنار، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، يَرُدُّه الأولون والآخرون، والمارون على الصراط أصناف ثلاثة: ناج بلا خدوش، وهالكٌ من أول وهلة، ومُتوسِّط بينهما: يُصاب ثم ينجو، وكلُّ قسم منها يتقسم أقسامًا؛ روى مسلم عن أبي سعيد الخدري - مرفوعا -: "... ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ [أي: الصراط] عَلَى جَهَنَّمَ، وَيَحُلُّ الشَّفَاعَةَ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: "دَخَضُ مَزَلَّةٌ [أي: انزلاق الأقدام] فِيهِ حَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبِ وَحَسَكٌ [نبات حشن يعلق بصوف الغنم] تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا شَوْيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ [تحريك الجفن] وَكَالْبَرِقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِدِ الْحَيْلِ وَالرِّكَابِ [أي: السريع] فَجَانِحٌ مُسَلَّمٌ، وَمُخَدَّوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ [أي: مدفوع من الخلف] فِي نَارِ جَهَنَّمَ..."

ويكون أول من يمر على الصراط: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، والرُّسل والأنبياء يدعون للمؤمنين بالسلامة؛ روى الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا: "... وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، وَبِهِ كَالَالِيبِ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخَطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمَوْتِقُ بِعَمَلِهِ [أي: المهلك] وَمِنْهُمْ الْمُخَرَّدُلُ [المقطع بالكلايب] ثُمَّ يَنْجُو...". وفي رواية: "وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَالَالِيبِ..."

والمور على الصراط يكون بقدر النور الذي يؤتاه كلُّ عبد؛ روى الحاكم عن ابن مسعود: "... وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضُ مَزَلَّةٍ، فَيُقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَسَدِّ الرَّجْلِ، وَيَزُمُّ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِنْهَامِ قَدَمِهِ، قَالَ: يَجْرُ يَدًا وَيَعْلُقُ يَدًا، وَيَجْرُ رَجُلًا وَيَعْلُقُ رَجُلًا، وَتَضْرِبُ جَوَانِبُهُ النَّارَ، قَالَ: فَيَخْلُصُوا، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا...".

وعلى الصراط يُذبح الموت الذي يُؤتى به على صورة كبش أملح [أي: شديد البياض]؛ روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) [مریم] قَالَ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى السُّورِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيْشَرِيئُونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيْشَرِيئُونَ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُضَجُّ فَيُذْبَحُ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ: لَمَاتُوا فَرَحًا، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى لِأَهْلِ النَّارِ الْحَيَاةَ فِيهَا وَالْبَقَاءَ: لَمَاتُوا تَرَحًا". وفي رواية لابن ماجه عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجَلِيلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا: خُلُودٌ فِيمَا نَجِدُونَ، لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا". وأصل الحديث في الصحيحين دون ذكر الصراط.

هذا، وقد اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره وحقيقتها، وأما المعتزلة فيُنكرون كعادتهم هذا الظاهر؛ زعمًا منهم أنه لا يمكن عبوره وهو بتلك الأوصاف، وإن كان ممكنًا: ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين يوم القيامة، لهذا أولوه بطريق الجنة أو طريق النار: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) [الصافات]. ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة. وكلُّ هذا باطل؛ لوجوب حمل التصوص على حقائقها، والله الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم، وما ذلك على الله بعزيز؛ قال تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) [الإسراء]. والقادرُ على إمساك الطير في الهواء قادرٌ أن يمسك المؤمن على الصراط وإن دق، فيمشيه أو يُجره، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

### 13- وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وَكَذَا النَّفْسِيُّ إِلَى الْجِنَانِ سَيَدْخُلُ

في هذا بيان: أن النار حقٌّ، وأنها دركات، وهي الخزي الأكبر، والخسران المبين، ومن أسمائها: الجحيم، وجهنم، وسقر، ولظى، والهاوية، والسَّموم، وهي دار العقاب التي أعدّها الله للكافرين، وسيدخلها المتمردون على شرعه، المكذبون لرؤسله، وهؤلاء يخلدون فيها أبدًا الأبدين، كما يدخلها - أيضًا - من شاء الله من عصاة الموحدين، من غير خلود فيها.

والنارُ حرّها شديدٌ، وقعرها بعيد، ومقامها من حديد، ونار الدنيا التي يُوقد ابن آدم جزءًا من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولجهنم سبعة أبواب، وأجسام أهلها تعظم، حتى يكون ما بين منكبي الكافر في النار: مسيرة ثلاثة أيام، وضرسه مثل أحد، ولباسهم فيها: النار والقطران، وطعامهم: الصريع، والزقوم، وشرابهم: الحميم، والغسلين، والصدديد. والنار تُبصر وتُحدث أصواتًا مُرعبة؛ (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) ° إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا)، وتتكلم؛ (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) وتتنفس في العام مرتين؛ روى الشيخان عن أبي هريرة مرفوعًا: "اشتكت النارُ إلى ربِّها فقالت: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ".

وأن الجنة حقٌّ، وأنها درجات عالية، وهي دار الثواب، والجزاء العظيم، والثواب الجزيل، ومن أسمائها: الفردوس، والمأوى، وعدن، والخلد، والمقامة، والنعيم، والسلام، وثربتها المسك، وبنائها الذهب والفضة، وأبوابها ثمانية، وفيها عُيونٌ، وأنهارٌ من ماءٍ ولبنٍ وخريرٍ وعسلٍ، وفيها قُصورٌ، ومسكنٌ، وخيامٌ، وأشجارٌ، وثمارٌ وفواكهٌ، وأنبتها الذهب والفضة، وظلّها ممدودٌ، وريحها يُوجد من مسيرة أربعين عامًا أو أكثر،

مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَ لَا يَبْئَسُ وَلَا يَفْقَرُ وَلَا يَحْزَنُ، وَيُخْلَدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شِبَابُهُ. وَأَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُهَا: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ التَّعِيمُ الْمَقِيمُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمَتَّقِينَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ الْمُسْتَقِيمِينَ، وَسَيَدْخُلُهَا الْمُؤْمِنُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ، وَمَا أَخْبَرْنَا بِهِ عَنْ نَعِيمِهَا يُجَيِّرُ الْعُقُولَ، وَيُذْهِلُ النَّفْسَ؛ رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَاطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [السَّجْدَةُ]".

قال الطحاوي في "عقيدته": "وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْتَنَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ فَضَّلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمُ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِعَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ".  
ولكل واحد من الجنة والنار ملؤها؛ روى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ، قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا كَمِثْلِي، وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا".

هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في دار التعيم ودار العذاب، خلافاً لمن قال بفناء النار والجنة كالجهمية، أو قال بفناء النار فقط كما نُسب ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله [انظر: "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار" للأمر الصنعاني بتحقيق الألباني] وكالخوارج والمعتزلة الذين زعموا خلود كل من دخل جهنم ولو كان موحداً؛ وهذا بناءً على عقيدة الخوارج في تكفيرهم لأهل الكبائر.

#### 14- وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

لا زال يُقَرَّرُ مسائل القيامة، فانتقل إلى الحديث عن أمور البرزخ، والحياة بعد الموت في القبر، ولو أنه قدّم هذا البيت قبل إيراده مسائل الآخرة والحديث عن الميزان والصراف والجنة والنار ورؤية المؤمنين ربهم لكان أنسب وأليق بالترتيب. والمقصود: أنه "يَنْبَغُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةً، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ". ومن اعتقاد السلف: وجوب الإيمان بأن القبر أول منازل الآخرة، وأن كل من مات فقد قامت قيامته؛ لأن القيامة كبرى وصغرى، والقبر أفضع المناظر، وأظلم الأماكن، وله ظمّة وضغطّة شديدة، لا ينجو منها أحد ولو كان صالحاً تقياً، أو صغيراً صبيهاً، غير أن الكافر تدوم ضغطته، بخلاف المؤمن الذي يُضغَطُ عليه ثم تُدرّكه الرحمة فيرخى عنه. وكل من مات سيئاً في قبره، يأتيه ملكان أسودان شديدان يُقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: التكبير، فيسألانه عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه صلى الله عليه وسلم. ويُصوّر للميت عمله بحسب نوعه، فإن كان من المؤمنين المحسنين "يأتيه رجلٌ حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشّر بالذي يسررك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول له: مَنْ أَنْتِ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الْبَاجِرُ، بِالْحَيْرِ، فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فيقول: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، فيقال له: اسكن. وإن كان من الكافرين والفاجرين "يأتيه رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فيقول: أبشّر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: مَنْ أَنْتِ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الْبَاجِرُ، بِالشَّرِّ، فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الْحَيِّثُ، فيقول: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ".

وفي القبر عذابٌ ونعيمٌ، فهو إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار. فالمؤمن يُؤوَّرُ له قبره، ويُفَرَّشَ له من الجنة، ويُلبَسَ من الجنة، ويُفْتَحَ له بابٌ إلى الجنة، ويأتيه من روحها وطيبها، ويُفَسَّحَ له في قبره مدّ بصره، ويُعرض عليه مقده من الجنة بالغداء والعشي حتى يبعثه الله يوم القيامة. وأمّا الكافر والفاجر فيُفَرَّشَ له قبره من النار، ويُفْتَحَ له بابٌ إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويُضَيَّقُ عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلأغه، ويُضْرَبَ بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحةً يسمعه من يليه إلا الثقلين - الإنس والجن - ويُعرض عليه مقده من النار بالغداء والعشي حتى يبعثه الله يوم القيامة.

وكلُّ مَنْ يَسْتَحِقُّ العَذَابَ يَنَالُهُ نَصِيبُهُ مِنْهُ فِي البَرزَخِ، فَبُرِّمَ أَمْ لَمْ يُقْبَرِ، أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ، أَوْ احْتَرَقَ فَأَصْبَحَ رَمَادًا يُنْسَفُ فِي الهَوَاءِ، أَوْ عَرِقَ فِي البَحْرِ وَأَكَلَتْهُ الحَيْتَانُ، سَيَصِلُ إِلَى جَسَدِهِ وَرُوحِهِ مِنَ العَذَابِ مَا يَصِلُ إِلَى المَقْبُورِ.

ولِعَذَابِ القَبْرِ أسبابٌ: مُجْمَلَةٌ: وهِيَ الجَهْلُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِضَاعَةُ أَحْكَامِهِ، وَارْتِكَابُ مَعَاصِيهِ. وَمُفَصَّلَةٌ: مِنْهَا: عَدَمُ الاسْتِتَارِ وَالتَّنَزُّهِ مِنَ البَوْلِ، وَالتَّمِيمَةُ، وَالغُلُولُ، وَالكَذِبُ، وَهَجْرُ القُرْآنِ، وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالرِّبَا، وَعَدَمُ قَضَاءِ الدَّيْنِ، وَبِكَاءِ الحَيِّ عَلَى المَيِّتِ إِذَا كَانَ يُقَرَّرُ عَلَيْهِ. وَالمَنْجِيَاتُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ: أَداءُ الواجِبَاتِ، وَاجْتِنَابُ المحْرَمَاتِ، وَتَرْكُ المُنْهَيَاتِ، وَتُعَصَمُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ: الشَّهيدُ الَّذِي يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالمُرَابِطُ، وَمَنْ مَاتَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَتِهَا، وَالمَيِّتُ بِدَاءِ البَطْنِ.

وَقَدْ أَنْكَرَتْ المَلاحِدَةُ وَالدَّهْرِيُّونَ عَذَابَ القَبْرِ وَنَعِيمَهُ، وَقَالُوا: لَيْسَ لَهُ حَقِيقَةٌ، بِحُجَّةٍ أَنَّ قُبُورًا كَثِيرَةً قَدْ فَتَحَتْ فَمَا رُؤِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَتْ بِهِ التَّصَوُّصُ الشَّرْعِيَّةُ، فَكَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَزَعَمُوا أَنَّ القَبْرَ هُوَ المَثْوَى الأَخِيرَ لِلإِنْسَانِ، لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالمَبْعُوثِ وَلَا يُقَرِّونَ بِالتَّشْوِيرِ؛ وَإِنَّمَا المَثْوَى الأَخِيرُ: هُوَ الجَنَّةُ الدَّائِمَةُ نَعِيمِهَا، أَوْ النَّارُ غَيْرُ النَّافِدِ عَذَابُهَا؛ قَالَ تَعَالَى (آلِ عِمْرَانَ): (وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ) وَقَالَ (الرُّومِ): (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى المُنْكَرِينَ) وَقَالَ (فَصَلَّتْ): (فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

وَمِنْ أَدَلَّةِ إِثْبَاتِ عَذَابِ القَبْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى (الأنعام): (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ اليَوْمَ تُحْزِنُونَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) وَقَوْلُهُ (غافِر): (وَخَاقٍ بِآلٍ فِرْعَوْنَ سُوءِ العَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ).

وَلَمَّا كَانَ عَذَابُ القَبْرِ بِهَذِهِ الخَطُورَةِ: عَلَّمَنَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاسْتِعَاذَةَ مِنْهُ، بَلْ أَمَرَنَا بِهَا؛ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَالِ".

## 15- هَذَا اعتقادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

هَذَا جَمَلَةٌ مِنَ العِتْقَادِ الأَثْمَةِ الأَرْبَعَةِ وَليْسَ كُلُّهَا، وَإِلَّا فَإِنَّ العَقِيدَةَ جَوَانِبُهَا كَثِيرَةٌ، وَالمُؤَلَّفُ لَمْ يَعرِضْ مَسَائِلَ العِتْقَادِ كُلِّهَا، لَكِنْ قَرَّرَ عَقِيدَةَ السَّلَفِ فِي: حَبِّ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ وَآلِ البَيْتِ، وَالإِيمَانِ بِالقُرْآنِ وَأَنَّهُ كَلامُ اللَّهِ، وَالإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالإِيمَانِ بِرُؤْيَا المُؤْمِنِينَ رِجْمَ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالإِيمَانِ بِنَزولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَالإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَمَا فِيهِ: مِنَ المِيزَانِ، وَالحَوْضِ، وَالصِّراطِ، وَالإِيمَانِ بِنَعِيمِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ فِي الجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّهُ لِلْكَافِرِينَ مِنَ العَذَابِ، كُلُّ ذَلِكَ عَقِيدَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ، أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَمِنْهُمْ: الأَثْمَةُ الأَرْبَعَةُ المُتَّبِعُونَ، المُقْتَدَى بِهِمْ: أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ (المُتَوَفَّى سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةَ 150)، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ (المُتَوَفَّى سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةَ 179)، وَالشَّافِعِيُّ (المُتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ: 204)، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (المُتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ: 241) رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

## 16- فَإِنَّ اتَّبَعَتْ سَبِيلَهُمْ فَمَوْحِدٌ وَإِنْ ابْتَدَعَتْ فَمَا عَلَيْكَ مُعْوَلٌ

فَمَنْ اتَّبَعَ نَحْجَ هؤُلاءِ الأَثْمَةِ فِي مُعْتَقَدِهِمْ: فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ، وَهُوَ المَوْفَّقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَهُوَ التَّاجِي، السَّالِمُ مِنَ الهَلَاكِ، وَلَكِنْ هَذَا مُعْتَبَرٌ فِي الجَمَلَةِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى المَنْهَجِ، وَليْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ مِنْهُمْ خَطَأٌ أَوْ زَلَلٌ أَوْ مِجَانِبَةٌ لِلْحَقِّ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ، فَكُلُّهُ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَوَرْدًا، وَلَا عِصْمَةَ إِلَّا لِلرَّسْلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أَمَّا مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهَذَا المَعْتَقَدِ، وَجاءَ بِأَمْرٍ مُبْتَدَعٍ مُحَدَّثٍ، فَلَا حُجَّةَ فِيهِمَا قَالَ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِمَا لَمْ يَدَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لِذَا لَا قَبُولَ لِمَا أَرَادَ.

هَذِهِ خاتمةُ القَصِيدَةِ اللَّامِيَّةِ، القَصِيرَةِ فِي مَبْنَاهَا، العَظِيمَةِ فِي مَعْنَاهَا، وَحَبَّذَا لَوْ حَفِظْتَ، فَهِيَ تُلَخِّصُ بَعْضَ مُعْتَقَدَاتِ السَّلَفِ.